26 - { وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب } أي : عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول ا A والمسلمين وهم بنو قريظة { من صياصيهم } حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحاكة صيصية وذلك أن رسول ا A لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي A والمؤمنون من الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول ا A معتجرا بعمامة من استبرق على بلغة عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول ا A عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال : قد وضعت السلاح يا رسول ا ؟ قال : نعم فقال جبريل : عفا ا عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم .

وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي A يمسح الغبار عن وجهه وعن فرسه فقال : إن ا يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهد إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي A مناديا فأذن : أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول ا A علي بن أبي طالب Bه برايته إليهم وابتدرها الناس فسار علي Bه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول ا A فرجع حتى لقي رسول ا A بالطريق فقال : يا رسول ا لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث قال : لم أظنك سمعت لي منهم أذى ؟ قال : نعم يا رسول ا قال : لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا .

فلما دنا رسول ا A من حصونهم قال : يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم ا وأنزل بكم نقمته ؟ .

قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولا .

ومر رسول ا A على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسول ا مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال عليه السلام : ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم .

فلما أتى رسول ا A بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول ا A : [لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة] فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم ا بذلك ولا عنفهم به رسول ا A قال وحاصرهم رسول ا A خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف

ا في قلوبهم الرعب .

وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده .

فلما أيقنوا أن رسول ا A غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوا لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال : فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم ا بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء فقالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا : أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ؟ أما من قد عملت فصابهم من المسخ ما لم يخف عليك ؟ فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة في الدهر حازما ؟ قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول ا A أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول ا A إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم قالوا : ماذا يفعل بنا إذا نزلنا ؟ فأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح قال أبو لبابة : فوا ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت ا ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول ا A حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب ا علي مما صنعت وعاهد ا لا يطأ بني قريظة أبدا ولا يراني ا في بلد خنت ا ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول ا A خبره وأبطأ عليه قال : أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب ا عليه ثم إن ا تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول ا A وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة : سمعت رسول ا A يضحك فقلت مما تضحك يا رسول ا أضحك ا سنك ؟ قال : تيب على أبي لبابة فقلت : ألا أبشره بذلك يا رسول ا ؟ فقال : بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب ا عليك قال فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا وا حتى يكون رسول ا هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول ا A خارجا إلى الصبح أطلقه ثم قال : إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم

فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول ا A وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي فمر بحرس رسول ا A وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول ا A فقال : لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول ا A بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين يذهب من أرض ا فذكر لرسول ا A شأنه فقال : ذاك رجل قد نجاه ا بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول ا A فأصبحت رمته ملقاة لا يدري أين يذهب فقال رسول ا A فيه تلك المقالة وا أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول ا فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول ا إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول ا A قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسألهم إياه عبد ا بن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول ا A : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى قال : فذاك إلى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ جعله رسول ا A في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول ا A قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول ا A في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول ا A وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول ا A إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في ا لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن علمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول ا A قال : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول ا A قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد : عليكم بذلك عهد ا وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت ؟ قالوا : نعم قال : وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول ا A وهو معرض عن رسول ا A إجلالا له فقال رسول ا A : نعم قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول ا A لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم ا من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول ا A في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول ا A إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خندقا ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو ا حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة

إلى تسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول ا A أرسالا : يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب : أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وإن من يذهب به منكم لا يرجع هو وا القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي A وأتى حيي بن أخطب عدو ا عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول ا A قال أما وا ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل ا يخذل ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر ا كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه .

وروى عروة بن الزبير عن عائشة Bها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت وا إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول ا A يقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانه قالت / : أنا وا قلت : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل قلت : ولم ؟ قالت : حدث أحدثته قالت : فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي : وكان اسم تلك المرأة شبابة امرأة الحكم القرظي كانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحى فدعا رسول ا A بها فضرب عنقها بخلاد بن سويد قال : وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول ا A جالس هنالك .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال : إني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال : إن الكريم يجزي الكريم قال : ثم أتى ثابت رسول ا A فقال : يا رسول ا قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول ا A : هو لك فأتاه فقال له إن رسول ا A قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول ا A فقال : يا رسول ا أهله وماله ؟ قال : هم لك فأتاه فقال : إن رسول ا A أعطاني امرأتك وولدك فهم لك قال : أهل بيت الحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول ا A فقال : ماله يا رسول ا ؟ قال : هو لك قال : فأتاه فقال : إن رسول ا A قد أعطاني مالك فهو لك فقال : أي ثابت ما فعل ا بمن كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد قال : قتل قال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب ؟ قال : قتل قال : فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا عزال بن شموئيل ؟ قال : قتل قال : فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا وقتلوا قال : فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقتني بالقوم فوا ما في العيش بعد هؤلاء خير فما انا بصابر فترة دلو نضح حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق

قوله ألقى الأحبة قال : يلقاهم وا في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا .

قالوا : وكان رسول ا A قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول ا A سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا وكان رسول ا A قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول ا A حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول ا A يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت : يا رسول ا بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول ا A ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني بإسلام ريحانة فجاءه فقال : يا رسول ا قد أسلمت ريحانة فسره ذلك .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال : اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فأبقني لها وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول ا A إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة : فحضره رسول ا A وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت : وكانوا كما قال ا تعالى : { رحماء بينهم } (الفتح - 29) وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد ا النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد ا بن محمد أخبرنا يحيى بن آدم أخبرنا إسرائيل سمعت أبا إسحاق يقول سمعت سليمان بن صرد يقول [سمعت النبي A يقول حين أجلى الأحزاب عنه : الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد ا النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا قتيبة أخبرنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول ا A كان يقول : [لا إله إلا ا وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده] .

قال ا تعالى في قصة قريظة : { وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون } وهم الرجال يقال : كانوا ستمائة { وتأسرون فريقا } وهم

النساء والذراري يقال : كانوا سبعمائة وخمسين ويقال : تسعمائة